الحبـــل

(قصة قصيرة)

الكاتبة الأمريكية: كاثرين آن بورتر

ت: إياد حسن جبير

بعد انتقالهم للريف بثلاثة أيام، أتى من القرية حاملاً سلة المشتريات ولفـة حبل بطول أربع وعشرين ياردة، خرجت هي لملاقاته تمسح يدها بثوبها الـواق. وقد تشعث شعرها، وأصبح أنفها قرمزياً بتأثير الشمس. فيما التـصق قميـصه الرمادي بجسمه واغبر حذاءه الثقيل. كان قد أخبرها أنها تشبه النساء الريفيات، وأكدت هي أنه يشبه شخصية الريفي في المسرحيات.

كانت تنتظر القهوة طوال النهار، لأنهما نسيا أن يوصيا عليهـا مـن المتجر في يومهما الأول هنا. هل جاب القهوة؟

يا الله، كلا، لم يجلبها، يارب، عليه أن يرجع الآن، نعم، عليه أن يرجع حتى وإن قتله ذلك. فكّر قليلاً، وإن كان قد جاب بقية الأشياء كلها. ذكرتـه أن سـبب نسيانه القهوة كونه لايتناولها –فلو كان يتناول القهوة لتذكرها بسرعة- لنفترض إن السكائر نفذت عندهم؟ أكان سينسى أن يجاب السكائر؟ ثم رأت الحبل. لم جاب هذا الحبل؟ حسناً، ربما فكر أنه سيكون مفيداً لنشر الملابس أو أي شيء آخر، وبالطبع فقد سألته، إن كانوا سيفتحون مصبغة ملابس، فقد كان لديهم حبل بطول خمـسين قدماً معلقاً أمام عينيه؟ لماذا لم يلاحظ ذلك؟ فقد كان الحبل يبدو كلطخة وسخ فـي ذلك المنظر الريفي الرائع.

اعتقد هو أن هناك الكثير من الأشياء التي يكون الحبل نافعاً فيهـا. وأرادت هي أن تعرف ماهي هذه الأشياء، في الحال –فكر لعدة دقائق، لكنه لم يجد شـيئاً

يكون الحبل نافعاً فيه- بإمكانهما الانتظار لمعرفة ذلك، ألا يستطيعون الانتظـار؟ فالمرء يحتاج إلى الكثير من الأشياء الغريبة لتساعده على العيش في الريف –قالت "نعم ذلك صحيح ولكن ليس في هذا الوقت الذي يحسب فيه حساب البنس الواحـد، وشراء حبل آخر يجعل الأمر سخيفاً للغاية". هذا هو كل ما في الأمر –لـم تعـن بكلامها أي شيء آخر. لقد رأت للتو، وليس منذ البداية، لماذا شعر أن شراء الحبل ضروري.

هدر غاضباً. حسناً. لقد اشتراه لأنه أراد أن يشتريه وهذا هـو كـل مـافي الأمر، واعتقدت أن هذا سبب كاف. وتساءلت، لماذا لم يقل ذلك منذ البداية. بدون شك فإن أربع وعشرين ياردة من الحبال ستكون مفيدة، أربع وعشرون ياردة. لقد كانت هناك مئات الأشياء التي لاتستطيع تذكرها الآن والتي ستكون نافعة، وبالطبع كما قال هو "كل الأشياء مفيدة في الريف".

أُصيبت بخيبة أمل لعدم جلبه القهوة، وأوه، انظر، انظر إلـى البـيض! أوه ياإلهي، إنها تسيل جميعاً! ماذا وضع فوقها؟ أ لايعلم أن البيض يجب ألاّ يعـصر؟ لقد عصر البيض، من الذي عصره؟ أراد أن يعرف، ما أسخفه من قول، فقد جلبها في السلة مع بقية الحاجات، فإذا ماتكسر البيض فذلك ذنب البقال، فقد كان عليه أن لايضع الأشياء الثقيلة فوق البيض. اعتقدت أن سبب تكسر البيض هو الحبل، إنـه أثقل شيء في الرزمة، لقد رأته بوضوح عندما جاء من الطريق. إن الحبل حمولة ثقيلة حتى وإن وضع فوق أي شيء آخر. وتمنى أن يشهد كل العالم إن ماتقولـه ليست هي الحقيقة. فلقد حمل الحبل بيد والسلة باليد الأخرى. مافائـدة عينيهـا إذا كانتا لاتريان؟ حسناً، على أية حال، فإن بإمكانها أن ترى شيئاً واحـداً بوضـوح. لابيض للفطور، وأن عليهم قليها الآن للعشاء، إنه أمر سيء جداً. لقد خططـت أن تطهو اللحم للعشاء، ولايوجد ثلج لديهم، فلا يمكن حفظ اللحم. أراد أن يعرف لماذا لاتقوم هي بتكسير البيض وتضعه في قدر في مكان بارد.

مكان بارد! لو كان بإمكانه فقط أن يدلها على مكان بـارد، فإنهـا سـتحفظ البيض هناك بكل سرور. وفكر لو أنهما طبخا البيض واللحم فـي نفـس الوقـت وسيكون بإمكانهما تدفئة اللحم في الغد. وخنقتها الفكرة لحم يعاد تـسخينه، بينمـا بإمكانهما أن يتناولاه طازجاً –والخيار الثاني أن تتناول أشياء أخـرى بـدلاً مـن اللحم!. دلّك كتفيها قليلاً، إن الأمر لايستحق هذا كله، ياعزيزتي، أيـستحق؟ فـي

بعض الأحيان عندما يلهوان فإنه يدلك ظهرها وهي تتمطى وتموء كقطعة، ولكـن في هذه المرة فإنها تنهدت بازدراء وأظهرت مخالبها!- كان تيهيأ لأن يقول أنهـم سيتدبرون الأمر بطريقة ما، عندما استدارت إليه وقالت أنه إذا ما أخبرها بأنهمـا سيتدبران الأمر بطريقة ما فإنها ستصفعه على وجهه.

ابتلع كلماتها وهو يتوهج غضباً، واشتعل وجهه غيظاً، التقط الحبل وشـرع بوضعه على الرف العلوي. لكنها ماكانت لتضعه هناك، فالرف العلـوي خـاص بالجرار والعلب، ولن تجعل الفوضى تسوده بهذا الحبل- الطويل- لعد حات مـن الفوضى التي كانت تتحملها في شقتها في المدينة، فعلى الأقل توجد هنـا مـسافة كافية، كما أنها تريد أن تكون أشياءها مرتبة.

حسناً، أراد أن يعرف في تلك الحالة ماذا تفعل المطرقة والمـسامير علـى الرف نفسه؟ ولماذا وضعتهم هنا وهي تعلم جيداً أنه يحتاج تلك المطرقـة وتلـك المسامير ليصلح إطار النافذة في الطابق العلوي؟ ولكنها قامت بكل بساطة بتأخير كل الأعمال في المكان بعاداتها الجنونية في تغيير وإخفاء الأشياء هنا وهناك. لقد كانت متأكدة عندما طلبت إذنه في ذلك. ولو كان لديها أدنى سبب لتصدق أنه كان سيقوم بإصلاح إطار النافذة في هذا الصيف لكانت قد تركت المطرقة والمـسامير حيث تركهما في وسط غرفة النوم حيث يمكن أن يدوسا عليها في الظـلام. والآن فإن لم يقم هو بتنظيف كل هذه الفوضى التي سببها فإنها ستقوم بإلقاء كل شيء في البئر.

أوه، حسناً، حسناً- هل يضعهما في دورة المياه؟ بالطبع لا، فهناك المكـانس وآنية جمع الغبار والمطهرات كلها في دورة المياه؟. لماذا لايستطيع أن يجد مكاناً لحبله خارج مطبخها؟ بحق الله، هل توقف عن ملاحظة وجود سبع غـرف فـي المنزل، ومطبخ واحد فقط؟

أراد هو أن يعرف ماسبب كل ماتفعله؟ وهل أنها أدركت بأنها تجعـل مـن نفسها حمقاء كلياً؟ لماذا تزوجته إذن؟ هل تزوجت غبياً عمره ثلاث سنوات؟ كـل المشكلة تتلخص في أنها أرادت شخصاً ما أضعف منها لتتحداه وتطغـي عليـه. وتمنى على الله أن يكون لـديهم طفلـين فتفـرغ عليهمـا سـيطرتها وطغيانهـا ويرتاح هو.

تمعج وجهها عند سماعها هذا القول. وذكرته بأنه نسي القهوة واشترى حبلاً

تافهاً. وقد فكرت هي فعلاً بكل الأشياء التي يحتاجانها لجعل المكان لائقاً للـسكن فيه، حسناً بإمكانها البقاء- هذا كل مافي الأمر وبدت هي بائسة جداً تائهة وقانطة، لم يصدق أن سبب المشكلة هو قطعة حبل، ماذا يحدث بحق السماء؟

أوه، رجاء هل بإمكانه أن يصمت ويذهب عنها، ويبقى بعيداً، ولو لمدة خمس دقائق! بأي طريقة كانت.

نعم، سيذهب بالتأكيد وسيبقى بعيداً إذا مارغبت، يارب، نعم، لايوجد شـيء أحب إليه من الذهاب وعدم العودة أبداً. لم تر طيلة حياتها ما الذي يبقيه، إذن، إنه وقت التبجح، لقد استقرت هنا، بعيداً عن السكة الحديدية بأميال عديدة، وبين يديها بيت شبه فارغ، ولا تملك بنساً واحداً، ولديها الكثير من الأعمال لتقوم بها- وبدت أنها اللحظة المناسبة التي أتاحها الله له لكي يتخلى عنها، وكانت مندهشة كيف أنه لم يبق في المدينة لحين إكمالها كل الأشياء، أليست هذه حيلته المعتادة؟

وتوضح له أن الأمر قد تجاوز حده، إنه الـشيء المحظـور مناقـشته، وإذا ماسمحت له بالكلام، لماذا بحق الجحيم بقي في المدينة الصيف الماضـي؟ طبعـاً ليعمل العديد من الأعمال الإضافية ليجمع النقود التي يرسلها لها. هذا هو كل مـا في الأمر، وهي تعلم جيداً بأنهما لن يستطيعا النجاح بطريقة أخرى، وقد وافقـت هي على مساعدته في ذلك الوقت، وهي المرة الوحيدة التي تركهـا تفعـل شـيئاً بنفسها. أوه، بإمكانه إخبار جدته بذلك، فقد كان لها انطباع شخصي عن الذي أبقاه في المدينة. وفي الحقيقة فإنه أكثر من انطباع، إذا أراد أن يعرف، إذن، هل تريـد إثارة كل ذلك الآن، هل تريد هي ذلك؟ حسناً بإمكانها أن تفكـر بالطريقـة التـي ترضيها، فقد تعب هو من الشرح والتوضيح، ربما يبدو الأمر مضحكاً، ولكنه بقي هناك... هكذا، ببساطة. ماذا كان بإمكانه أن يفعل. فقد بدا مستحيلاً أن تأخذ هـي الأمر على محمل الجد، نعم، نعم، فهي تعرف كيف يتصرف الرجل عندما يكـون لوحده لدقيقة واحدة. فمن المؤكد أن امرأة ماستخطفه وبالطبع فإنه لايـستطيع أن يجرح مشاعرها! حسناً، ماهو الأمر الذي يجعلها مهتاجة هكذا؟

هل نسيت هي عندما أخبرته أن الأسبوعين اللذان أمـضتهما لوحـدها فـي الريف كانا أسعد أسبوعين رأتهما خلال أربع سنوات؟ وكم مضى على زواجهمـا عندما قالت ذلك؟ حسناً، سأخرس! لو كانت لاتعتقد ذلك لما ظل ذلك في داخله.

لم تكن تعتقد أنها كانت سعيدة لأنها كانت بعيدة عنه، بل لأنها جعلـت هـذا

البيت اللعين لطيفاً وجاهزاً له، هذا هو ماقصدته، وانظر الآن! لقد تذكر شيئاً سبق أن قالته قبل سنة لكي يبرر لنفسه نسيانه جلب القهوة لها وتكسيره البيض وشراءه قطعة حبل رثة لايمكن تسديد ثمنها. واعتقدت أن الوقت قد حـان حقـاً لنـسيان الموضوع وهي الآن تريد شيئين فقط من هذا العالم. إنها تريد منه أن يأخذ حبلـه من تحت أقدامها وأن يذهب للقرية ليجلب لها القهوة. وإذا كان باستطاعته التـذكر فعليه أن يجلب قفازات اليد لتستخدمها لمسك المقلاة، وحبلين للـستائر وكـذلك إذا كانت هناك قفازات مطاطية في القرية لأن يديها أصبحتا خـشنتين، وقنينـة مـن مستحلب المغنسيوم من الصيدلية.

نظر إلى عصر اليوم بلونه الأزرق الغامق ينشر حرارته على المنحـدرات ويمر على جبهته، سعل بقوة وقال، لو أنها تستطيع أن تصبر دقيقة على أي شيء تريده، فقد كان راجعاً للقرية، لقد قال أنه سيرجع، ألم يقل ذلك ثم اكتشفا أنه غفـل عنها؟.

أوه، نعم، حسناً، حسناً، أسرع، فهي ستغسل النوافذ، فالريف جميـل جـداً! وشكّت هي في أنهما يمتلكان دقيقة واحدة ليتمتعا به. لقد أراد أن يـذهب، ولكنـه لايستطيع، وإن قال ذلك. فلو لم تكن هي مجنونة عديمة الفائدة لرأت أنه سيذهب، وأن هذه الأمور تحدث في الأيام الأولى لانتقالهم للريف فقط. ألا تستطيع هـي أن تتذكر أي شيء مفرح عن فصول الصيف الأخرى؟ ألم يتمتعا سابقاً قط؟ لم تكـن تملك الوقت الكافي لتتحدث عن ذلك، والآن ألا يمكنه أن يترك الحبل مرمياً هنـا لتتعثر به، ثم إنه حمله عن المنضدة بطريقة ما، وخرج متأبطاً الحبل.

هل سيذهب هذه الدقيقة؟ بالتأكيد سيذهب، اعتقدت هي ذلـك، ففـي بعـض الأوقات يبدو لها أن لديه وجهة نظر أخرى في اللحظة المناسبة تماماً التي يتركها فيها لوحدها. لقد أرادت أن تنشر الشراشف في الشمس فلو نشراها في هذه اللحظة لاحتاجا لثلاث ساعات على الأقل، ولابد أنه سمعها وهي تقول أنها ستنشرها فـي الخارج. لذلك فمؤكد أنه سيذهب ليتركها تفعل ذلك لوحدها، وافترضت أنه يعتقـد أن قليلاً من التمارين ستفيدها.

حسناً، إنه ذاهب وهو مرتاح ليجلب لها القهوة، فمن السخف الـسير أربعـة أميال من أجل باوندين من القهوة، لكنه مستعد لأداء المهمة تماماً. فالعادة تجعـل منها حطاماً، ولكن إن أرادت أن تجعل من نفسها حطاماً فإنه لن يستطيع أن يفعل

شيئاً.

إذا كان يعتقد أن القهوة هي التي تجعل منها حطاماً، فإنها تهنيه فإنه يملـك ضميراً نقياً.

ضمير أو لاضمير، إنه لايعرف لماذا لا تستطيع الشراشف أن تنتظر حتـى الغد، على أية حال هل إنهما سيسكنان المنزل أم سيجعلانه يقتلهما بأعماله؟ وبهتت هي عند هذه الجملة، وأصبح وجهها مزرقاً حول فمها، لقد بدت خطـرة للغايـة، وذكرته أن أعمال البيت ليست من مسؤوليتها فقط من الآن فـصاعداً، وعليـه أن يشترك في أعمال البيت أيضاً، فلديها عمل أيضاً وعليها إنجازه فمتـى باعتقـاده ستجد هي الوقت الكافي لإنجاز كل هذه الأعمال.

هل ستبدأ من جديد؟ إنها تعلم جيداً كما يعلم هو أن عمله يؤمن الدخل الكافي للعائلة أما عملها فعرضي، فلو اعتمد على ماتحصل عليه، لكان عليها أن تتـرك هذا السؤال إلى الأبد. هذا ليس تفسيراً إيجابياً للسؤال، فالسؤال هو لو أن كل منهما اشتغل في وقته الخاص فهل سيكون هناك توزيع لأعمال المنزل بينهما، أم لا؟ إنها تريد أن تعرف فعليها أن تنظم وقتها. لماذا! فلقد اعتقد أن كل هذا قد نظم سـابقاً. لقد فهم أنه سيساعد في أعمال المنزل فقط. ألا يساعدها في الصيف؟ ألا يساعدها؟ أوه، ألا يساعدها؟ متى وأين وماذا يفعل؟ يارب، يالها من نكتة قوية!.

لقد كانت نكتة قوية فعلاً فقد أصبح وجهها أرجوانياً، وصرخت ضاحكة، لقد ضحكت بقوة جعلتها تضطر للجلوس، وانفجرت الدموع من عينيها وسالت علـى زوايا فمها، واندفع هو نحوها ورفعها ليجعلها تقف على قدميها وحاول أن يـصب الماء على رأسها، قطع الخيط الذي علقت به المغرفة إلى الحائط.

وحاول أن ينضح الماء عليها بإحدى يديه فيما كانت الأخرى تمـسك بهـا. تخلى عن محاولة صب الماء وبدلاً من ذلك فقد هزها بقوة.

انتزعت نفسها منه بقوة، وهي تصرخ عليه لكي يأخذ حبلـه ويـذهب إلـى الجحيم، لقد مات منه ولا تريده، وركضت وسمع وقع خفها ذي الكعـب العـالي يقرقع على الدرج.

خرج من البيت ووصل إلى الممر الخارجي، شـعر فجـأة بوجـود قرحـة صغيرة في كاحله، وشعر كما لو أن النار قد شبت بقميصه. إن الأشـياء تحـدث

بسرعة والمرء لايعرف أين أصبح وسطها. كما أنها تستطيع أن تنـدفع غاضـبة دون سبب، يالها من مزعجة، اللعنة، إنها لاتملك سبباً وجيهاً لذلك، وعندما تتحدث معها فكأنك تتحدث مع منخل، خصوصاً في فورة غضبها. اللعنة، لقـد أمـضى حياته يداري مزاجها! حسناً. ماذا سأفعل الآن. بإمكانه أن يأخذ حبله ويبادله بـأي شيء آخر، الأشياء تتراكم، الأشياء تتضخم، حتى أنك لاتستطيع أن تنقلهـا أو أن تفرزها، أو حتى أن تتخلص منها.

ستظل الأشياء مرمية هنا وهناك حتى تتعفن، بإمكانه إعادة الحبل، اللعنـة، ولكن لماذا عليه إعادته ها؟ لقد أراد هذا الحبل. وماتأثير قطعة الحبل علـى أيـة حال، قطعة حبل. تصور شخصاً ما يهتم بقطعة حبل أكثر من اهتمامـه بمـشاعر إنسان. أي حق تمتلكه هي لتقول كلمة واحدة؟ وتذكر كل الأشياء العديمة الفائـدة والعديمة المعنى التي اشترتها لنفسها، لماذا؟ لأنني أريده هذا هو الـسبب! توقـف واختار صخرة كبيرة بجانب الطريق، بإمكانه وضع الحبل خلفها، سيـضعه فـي صندوق الأدوات عند عودته. لقد سمع الكثير بسببه، الكثير الذي سـيظل يتـذكره مدى حياته.

عندما عاد كانت تتكئ على صندوق البريد بجانب الممر الخارجي، تنتظـر. لقد كان الوقت متأخراً، ورائحة اللحم المشوي تطفو عالياً في الهواء البارد، وبـدا وجهها أكثر شباباً ونعومة وحيوية. وقد مشطت شعرها الأسود على جهة واحـدة، لوحت له من على بعد، أسرع هو. نادته أن العشاء جاهز بانتظاره، ألا يتـضور جوعاً؟ بإمكانها أن تراهن على أنه جائع، وهاهي القهوة، ولـوح لهـا بـالقهوة، ونظرت إلى يده الأخرى، ماهذا الذي يحمله؟

حسناً، إنه الحبل ثانية، توقف للحظة. لقد أراد أن يبدله ولكنه نسي. وأرادت هي أن تعرف لماذا عليه أن يبدله، إذا كان يريد هذا الحبل حقـاً. ألـيس الهـواء لطيف الآن، أليس جميلاً أن نكون هنا معاً؟ سارت إلى جانبه وقد علقـت إحـدى يديها بحزامه الجلدي، وسحبته باتجاهها أثناء سيرها معه وتحككت بـه، ومالـت عليه، ووضع هو ذراعه حول جسدها وربت على بطنها، وتبادلا ابتسامة قلقة.

قهوة، قهوة، للجميلة المدللة! وشعر وكأنه قد جاب لها هدية جميلة.

ياله من محبوب جداً، هذا ما اعتقدته مؤخراً –ولو كانت قد تناولت قهوتهـا في الصباح لما تصرفت بحماقة كانت هناك بعض العصافير تعود، تخيـل حتـى

خارج موسم التزاوج، فهو ينادي وقد جلس على شجرة التفاح البري لوحده، ربما ينتظر فتاته، ربما فعلت ذلك، تمنت أن تسمعه مرة ثانية، لقد أحبت العصافير.. إنه يعرف طباعها، ألا يعرف؟ بالطبع فإنه يعرف طباع زوجته جيداً..

❑❑❑